

المعاني الراقية لتحيّة الإسلام



﴿قَالَ تَعَالَى: (وَإِذَا جَاءَكَ الْمُذْنِينَ يُؤْفِ مِنْهُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ (الأعراف / 54).

قال رسول الله ﷺ (ص): «أدب بنبي ربّي فأحسن تأدبي». وأيّ أدبٍ كأدب خالق السماوات والأرض؟ وأيّة نفس ينمو ويثمر فيها الأدب الإلهي؟ كنفس محمد؟

لقد أدخل سبحانه هذه النفس الطيبة الزاكية، ليؤهّلها لرسالته، رسالة الرحمة للعالمين التي بها وبصحابها تمّت مكارم الأخلاق.. أدب محمد في العديد من آياته، ومنها هذه الآية، وهي تعلّم رسول الله ﷺ وخير خلقه ﷺ كيف يسلك ويعامل المضعفاء والمساكين، فكان يلقاهم بالبشاشة والترحاب، ويقول: (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ)، ويحبس نفسه معهم ماداموا في مجلسه، حتى يكونوا هم الذين ينصرفون .

وإذا كان النبي ﷺ مقصود ﷺ بهذا التأديب، فنحن مقصودون بالتأنسي والاقتداء به، فلا نكرم أحداً لمال أو جاه أو جنس ولون، وإنّما نكرم ونحترم للدّين والخلق الكريم، قال بعض المفسّرين الحُدد: كانت الحياة البشرية قبل محمد (ص) في الحضيض، فرفعها محمد إلى القمة، وتراجعت الآن عن القمة السامية، وانحدرت في نيويورك وواشنطن وشيكاغو، حيث العصبيات النتنية، عصبيات الجنس واللون.

أجل، لا جنس ولا لون، ولا جاه ولا ثراء، لا فضل في الإسلام إلا بالتقوى.. . وعوداً إلى قوله تعالى:

(وَإِذَا جَاءَكَ الْمَدْرِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَيْنِي نَفْسِي الرَّحْمَةُ). السلام عليكم ورحمة الله، هذه هي تحييّة الإسلام، دعاء بالنجاة لمن تحبّيه من كلّ سوء، والعيش بأمان واطمئنان، وبرحمة الله ورضوانه، إذ لا نجاة ولا أمان مع غضبه جلّ وعلا، أمّا إذا عطفت برّكات الله على رحمته، فقد دعوت لصاحبك بالرزق الواسع، والعطاء الجزيل. وأين «مرحباً» و«صباح الخير» و«نهارك سعيد» من هذه التحييّة الإلهيّة الإسلاميّة؟!.. ▶

المصدر: كتاب تفسير الكاشف/ ج3